رسالة ملكية الى المشاركين
في الاحتفال بذكرى 9 أبريل1947

وجه جلالة الملك الحسن الثاني رسالة إلى المحتفلين بالذكرى الخمسين لرحلة جلالة المغفور له محمد الخامس إلى مدينة طنجة سنة 1947.

وفيما يلي نص هذه الرسالة التي تلاها السيد محمد الكتاني، مكلف بمهمة في الديوان الملكي خلال مهرجان خطابي نظم تخليدا لهذه الذكرى يوم فاتح ذي الحجة 1417هـ الموافق 9 أبريل 1997م بقصر مرشان بطنجة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

حضرات السيدات والسادة المشاركين في هذا الملتقى،

السلام عليكم ورحمة الله وبعد،

يطيب لنا أن ننوه بملتقاكم هذا، لتخليد الذكرى الخمسين لرحلة جلالة المغفور له والدنا المنعم محمد الخامس -قدس الله روحه- إلى مدينة طنجة في مثل هذا اليوم من سنة 1947، هذه الرحلة التي تعتبر معلمة من معالم جهاد المغرب ونضاله بقيادة بطل التحريرمحمد الخامس- طيب الله ثراه.

ولذلك ينبغي أن يظل تخليدها مناسبة لوصل أواصر الماضي القريب بالحاضر وبالمستقبل ولإمداد الأجيال الصاعدة بالقيم الوطنية والروح الوثابة. كما ينبغي لهذه القيم أن تستمد مما حفلت به سيرة والدنا العظيم من مناقب ومبادىء عليا. إنها قيم لم يكن بد من أن تصمد وتنتصر في معركة التحرير التي خاضها في وجه كل القوى الإستعمارية المعادية.

إنه يتعين علينا جميعا أن نظل أوفياء للقيم الدينية والوطنية التي قامت شخصيتنا على أساسها، فحفظت لنا هويتنا ومكنتنا من استرجاع

استقلالنا ومن استكمال مقومات سيادتنا ووحدتنا في فترة وجيزة، بل مكنتنا من ترسيخ احترام المغرب من لدن المنتظم الدولي اعتبارا للنهج القويم الذي ظللنا نلتزم به سواء في مرحلة النضال والتحرير أو في مرحلة البناء والتشييد. وهو المنهج الحضاري الذي جسده محمد الخامس بسيرته وإيمانه وجهاده.

نعم، يتعين علينا أن نظل أوفياء لهذه القيم الوطنية والروحية وللتاريخ الوطني الذي جسدها وذلك بإغناء ذاكرة الأجيال الحاضرة بمعانيها وتنوير وجدانهم بإشراقاتها لأن ذلكم التاريخ بكل بطولاته الفذة وجهاده المستميت وتضحياته الجسيمة قد يستصغر شأنه اليوم ويحمل على المباهاة الجوفاء إذا لم يوضع في سياقه الحي ويستحضر في نسيجه العام بظروفه المتميزة الوطنية والدولية فتظهر مواقف أبطال التحرير وفي مقدمتهم جلالة المغفور له محمد الخامس في واقعها البطولي كما عاشها المغرب في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخه .

هذا ما يفرض علينا، وكما قلت في أكثر من مناسبة أن نجعل من تاريخنا الوطني البعيد والقريب بكل حقائقه ومواقفه وأبطاله وعطاءاته تاريخا حيا نابضا يجدد فينا على الدوام قيم الشهامة والكرامة والايمان بالهوية الوطنية وبالوحدة واسترخاص كل غال في سبيل بقائها واستمرارها، تاريخا يسري في دمائنا بكل ثوابته ويتحرك في وجداننا بكل معانيه ويرفد منابع الالتحام بين العرش والشعب على الدوام، هذا الالتحام الذي جسدته مرحلة التحرير التي قادها والدنا المغفور له محمد الخامس أعظم تجسيد وتجسده أيضا وباستمرار مرحلة البناء والتشييد التي ألقى الله إلينا أمانتها وحملنا مسؤوليتها. وها نحن نقود خطاها، أوفياء جميعا لميراثنا الوطني ولمنهجنا السياسي الذي بفضله تحررنا وعلى هديه نحقق المكاسب تلو المكاسب .

إن الجيل الذي عاش أحداث المغرب خلال الأربعينات يذكر أن بلادنا كانت ترزخ تحت نير الحماية الأجنبية وكانت تمر بمرحلة طوت فيها تلك الحماية ثلاثة عقود من السنين، فرضت خلالها على بلادنا استعمارا حقيقيا فقسمتها إلى مناطق نفوذ لاستعمار متعدد الجنسيات وأخضعتها لسلطات الاحتلال المباشرة بعد القضاء على كل قوى المقاومة الوطنية المسلحة التي وقفت في وجهها، وهي الفترة التي عرفت نهاية الحرب العالمية الثانية بما كان لها من تأثير بالغ في العلاقات الدولية وفي تاريخ الانسانية كلها. لكن المغرب عرف كيف يعبر بقوة وجلاء في تلك الظروف عن حقوقه المشروعة في استرجاع حريته وسيادته واستقلاله.

لقد أدرك والدنا منذ بداية الأربعينات كيف يتعين أن نخوض المعركة بالمنهج السياسي والحضاري في آن واحد وكيف يجرب مختلف الطرق والوسائل للتعبير عن مطالبة المغرب بحقوقه المشروعة سواء عند تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944 أو أثناء زيارته لفرنسا سنة 1945. هذه المطالبة من لدن الملك وشعبه باسترجاع السيادة التي فتحت عيني المستعمرين بذهول على مدى إيمان الشعب المغربي وملكه بالحرية والاستقلال. ولم يمض على عقد الحماية أكثر من ثلاثة عقود من السنين ثم جاءت رحلة محمد الخامس إلى طنجة حيث أعلن جلالته بوضوح عن مطالبة المغرب باسترجاع حقوقه في الحرية والسيادة في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تسعى إلى إلحاق المغرب بالسيادة الفرنسية عن طريق إدماجه في الاتحاد الفرنسي الذي تضمنه دستورها الجديد يومئذ.

هكذا جاءت الرحلة إلى طنجة في سياق تاريخي من حركة النضال السياسي تجاه سياسة العزلة والوصاية اللتين فرضتهما سلطات الحماية على المغرب بالنسبة للعالم الخارجي وتجاه سياسة التفرقة بين المغاربة. بالنسبة للداخل، جاءت هذه الرحلة لتعلن وحدة التراب الوطني وعدم الخضوع لتجزئة

السيادة بين منطقة للحماية الفرنسية ومنطقة للحماية الإسبانية ومنطقة دولية. إذ كانت غاية والدنا منها الإتصال بكل فئات شعبه الواحد ومخاطبته والوقوف على أحواله بالإضافة إلى أن إقامة الملك بمدينة طنجة - وهي منطقة دولية يومئذ- كانت تعني أن المدينة جزء لا يتجزأ من تراب المملكة المغربية. كما كان حلوله بها يتيح له أيضا مخاطبة ممثلي الدول المشاركة في إدارة المدينة وإبلاغ صوته إلى الرأي العام الدولي وذلك في الوقت الذي كانت فيه شؤون الأقطار غير المستقلة تحظى باهتمام المنتظم الدولي. وهذه العوامل هي التي جعلت سلطات الحماية الفرنسية لا تقبل القيام برحلة الملك إلى طنجة إلا بعد مفاوضات واتصالات دبلوماسية وجعلتها تضع أثناءها كل العقبات التي قد تثني الملك عن عزمه أو تصرفه عن المضي في رحلته بما فيها تلك المجزرة البشعة التي قام بها المستعمر في مدينة الدار البيضاء قبل يومين من الرحلة. فقد كانت خطة سلطات الحماية يومئذ أن تحول بين الملك وبين الاجتماع بشعبه وأن تضرب حوله سياجا منيعا إدراكا منها لمكمن القوة في طبيعة التحام العرش بالشعب وما لهذا الالتحام والاتصال به من نتائج.

لقد ألقى محمد الخامس -رحمه الله- خطابه التاريخي في حدائق المندوبية السلطانية أمام الجماهير الغفيرة من رعاياه الذين تقاطروا إلى طنجة من جميع أنحاء المغرب فضلا عن سكان طنجة وحضور رجال المخزن المغربي وسفراء الدول الأجنبية وسلطات الحماية في يوم مشهود ألهب مشاعر الشعب المغربي وجدد التحامه بعرشه. فكان خطاب جلالته يقاطع بالتصفيق والهتاف بحياة الملك، هتافا كان يتدفق من القلوب والحناجر بصورة مؤثرة تجاوزت أصداؤها حدود المغرب.

وبتوجيه من جلالة والدنا -قدس الله روحه- يومئذ قمنا خلال أيام الرحلة بطنجة بإلقاء عدة خطب أوضحنا فيها بأمر من جلالة والدنا كل

المرامي البعيدة والأهداف المرسومة للبرنامج الملكي للإصلاح المغربي الذي كانت تقتضيه تلك المرحلة في نشر التعليم ونشر الوعي بضرورة وحدة الصف بين سائر فئات الشعب المغربي وشرائحه الاجتماعية ليقف الجميع بوعي وراء جلالة الملك في سعيه لبناء دولة حديثة تستفيد من علوم العصر وأنظمته ومظاهر تقدمه في إطار عرض برنامج ملكي للإصلاح المغربي. وقلت يومئذ في خطاب ألقيته في بيت الوحدة العربية ومعهد مولاي المهدي.. لقد قيض الله للمغرب في فجر نهضته ومبدأ انبعاثه ملكا كملت فيه خصال المؤمنين، الواثق والمسلم العامل والمغربي الأبي ونضجت فيه مميزات الأب العاهل العطوف والسياسي المحنك والمصلح الخبير، ملك أخذ من تراثنا الفكري كل ما كان سببا في ترعرع مدنيتنا وازدهار حضارتنا واستمد من العلم العصري ما يؤهل الأمة المغربية لتتبوأ مكانها الممتاز بين الأمم فما حلت ذاته الكريمة بين قوم إلا وجاش صدرهم بالحماس وتبدلت نضرتهم إلى الحياة وانقشعت عنهم دياجير الهوان والخمول... واليوم قد جاء بعد طول الإنتظار وعظيم الإشتياق دور طنجة، هذه المدينة المغربية الجميلة التي رغم ما توالى عليها من التقلبات وما رأته من الحوادث إلا أن تحتفظ بصبغتها المغربية ومركزها العظيم فإذا زارها اليوم صاحب الجلالة ملك المغرب فما زيارته لها إلا تقدير لتشبت أهلها بالعرش العلوي المجيد وتشجيع لرجالها المخلصين الذين شمروا عن ساق الجد للعمل وإحياء معاهد العلم كاد ينضب معينه وإعدادها لأخذ نصيبها من ذلك البرنامج الإصلاحي الشامل الذي وضعه جنابه الشريف للنهوض بالشعب المغربي من كبوته وإيقاظه من غفلته، ذلك البرنامج الذي تتلخص فصوله في كلمات ست (إسلام وعروبة وعلم وعمل ووحدة وتعاضد).

كانت رحلة طنجة إذن معلمة في تاريخ انبعاث المغرب السياسي ومسيرته النضالية لاسترجاع استقلاله وحريته وتثبيت هويته، ذلكم النضال

الذي قاده جلالة والدنا بحكمة وتبصر ومنهج حضاري يليق بتقاليد المغرب واستشراق للمستقبل المشرق بطموح وإيمان فلم تمض إلا بضع سنين حتى تحقق للمغرب ما كان يتطلع إليه محمد الخامس من استقلال وتحرر من عهد الحجر والحماية واستئناف لمسيرة البناء والتشييد في ظل القيم والمبادئ والتوجهات التي كان جلالة والدنا قد رسمها لهذا البلد الأمين.

إن ما يتعين استخلاصه من الرحلة التاريخية إلى طنجة في سياق الجهاد والتحرير لاسترجاع استقلال المغرب وذلك بالنسبة للأجيال الحاضرة والمقبلة، هو أن التفاف الشعب المغربي حول ملك البلاد وتعلقه بعرشها كان مصدر القوة والإنتصار. فقد أفضى هذا الإلتحام في نهاية المطاف إلى أن تنفجر ثورة الملك والشعب لخلع ربقة الاستعمار في وقتها وأن تحقق أهدافها في فترة وجيزة.

ثم إن استمرار هذا الالتحام بين الشعب والعرش فيما بعد الإستقلال ظل مصدر القوة أيضا على تخطي الأزمات والتغلب على كل المصاعب والمعوقات التي لا يخلو تاريخ شعب منها، وهو الالتحام الذي حققنا به من المكاسب والمنجزات ما حققنا من استكمال الوحدة الترابية وترسيخ المؤسسات الديموقراطية ومسايرة وتيرة النمو الديموغرافي المتسارع بما يلزم من الإنشاء للمؤسسات ودمقرطة الحياة السياسية والعمل على تحقيق التنمية بكل ما يلزم من التجهيز للبنيات الأساسية والتخطيط للمشاريع الطموحة.

ويمكننا أن نقول الآن بأننا وصلنا بهذا البلد الأمين إلى كل ما كان يتطلع إليه والدنا العظيم وما كانت تتطلع إليه الأجيال المناضلة من ورائه من حياة ديموقراطية وعيش آمن واستقرار دائم ونهضة شاملة لكل مجالات الحياة وحضور متميز في المنتظم الدولي والأسرة الإسلامية والعربية. وإننا ما نزال نوالي الجهود في سبيل غد أفضل ومستقبل أرغد. وإذن فمن حقنا أن نفخر بما استطاع المغرب أن ينجزه من استحقاقات وبالتخطيط الأمثل

للدخول إلى القرن المقبل، مغرب واثق من مستقبله محفز على رفع كل تحدياته، ماض في طريق النهضة الشاملة.

بهذا السلوك وحده نستطيع أن نرضي تلك الروح الطاهرة، روح محمد الخامس وأرواح جميع الشهداء الذين استرخصوا حياتهم في سبيل حرية هذا الوطن وعزته ونستطيع أن نرضي أنفسنا بما أنجزنا وفق ما كان يتطلع إليه رائد التحرير وأب النهضة المغربية من مطامح وغايات.

فالله نسأل أن يبوئ تلك الروح الطاهرة مقعدها في أعلى عليين مع النبيئين والشهداء والصدقين وأن يوثق أواصر الإلتحام بين الشعب المغربي الوفي وبين العرش الساهر على وحدته وسيادته واستمراره ليظل حاضرنا ومستقبلنا موصولا بقيم ماضينا ومقومات هويتنا من أجل مغرب قوي موفور الأصالة والسيادة والمهابة.

والسلام عليكم ورحمة الله.

وحرر بالقصر الملكي بالرباط
بتاريخ يوم الثلاثاء 29 ذو القعدة 1417
(الموافق 8 أبريل 1997)